المجلة العربية، جامعة داكا

المجلد ٢٣، العدد ٢٥، يونيو ٢٠٢٢ م، ص. ١٤٥–١٥٨

مفهوم الأنوثة في روايات بثينة وائل العيسى
رواية "كبرت ونسيت أن أنسى" أنموذجا

الدكتور سعيد الرحمن *

محمد علي أعظم مدّا**

Abstract

Buthaina Al Eissa, a Kuwaiti feminist novelist, addresses in her writings various depictions of women's portrayals and their issues like misery, tragedy, injustice, oppression, tyranny, anarchy, exploitation, revolutions, heroism and other relevant topics. She greatly defends the liberties of women's and their rights. She deals with women's social awareness, political struggle in her novels. As such, her recently published novel "*Kaburtu Wa Nasitum An ansa"* attentively focuses on distinctive discourse of femininity, which was clearly demonstrated in it. It recounts conscious reflection of her rebellion and revolt against everything that can restrict her freedom; thus, she leads society to revolution. This research paper is an attempt to highlight her literary contribution focusing on her immense effort for social change

ملخص البحث:

بثينة وائل العيسى هي روائية وكاتبة وناشطة نسوية كويتية تعالج موضوعات واقعية واجتماعية في كتاباتها ورواياتها، وهي من أكبر المدافعات عن حرية المرأة وحقوقها كما تتناول وعي المرأة الاجتماعية ونضالها السياسية والمحن التي تمر بها. لقد تركز اهتمام بثينة العيسى

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عالية، كولكاتا – الهند
saidjnu2000@gmail.com

* باحث الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عالية، كولكاتا - الهند
azam.rs.arb@aliah.ac.in

في رواية "كبرت ونسيت أن أنسى" على إفصاح عن مفهوم الأنوثة التي تجلت بصورة واضحة، وشكلت ثورة على واقع اجتماعي، تم فيه تهميش المرأة وسلب هويتها التي تبحث عنها، كما تعدّ انعكاسا واعيا لتمردها وثورتها على كل ما يمكن أن يقيد حريتها ورغبتها في الانفلات من قانون الرجل الذي من شأنه أن يضعها في إطار هو من اختياره وفرضه عليها. وبالتالي فثورتها على المجتمع والماضي والحاضر ما هو إلا محاولة منها لاسترجاع هويتها المفقودة بكل تمرد وبلغة مختلفة وكانت وسيلتها الوحيدة في هذا التمرد والنهوض هي الكتابة التي أعطت لها مساحة للبحث عن هويتها. يستهدف هذا البحث إبراز إسهاماتها في مجال الرواية الحديثة مركزا حقوق المرأة ومحاولتها للبحث عن الهوية المفقودة في المجتمع الكويتي.

الكلمات الرئيسية: الأنوثة، الروية، بثينة العيسى القضايا النسائية، الثقافة الأبوية، الثورة الثقافية.

المدخل:

الأنوثة هي تعبير عن الصورة للمرأة المترسخة في الأذهان والظاهرة المتكررة في الأجيال؛ أنها متدينة، مهمشة، الناقصة، الخاضعة لمبدأ قوامه الرجل، المحرمة من المشاركات العامة في المجتمع باسم ناقصات العقل، ومثيرات الفتنة والشهوة،(Al-ʻAnazī 2018, 128) هكذا نرى أنّ هذه النعوت والتعبيرات المتعسفة للمرأة والمشكّلة للهُوية الأنثوية هي التي جعلت المرأة ترفض أن تكون هذه المعطيات هي التي تقرر المصير النهائي لهويتها؛ بمعنى أنّ المرأة تقرر أن الهوية الأنثوية ليست نوعا طبيعيا بل فكرة تاريخية وإطار ثقافي واجتماعي شكّل دور المرأة وأعطاها صورة للجنس الآخر. ولاشكّ أن الكتابة عند المرأة تحمل في طياتها بعدا حداثيا جديدا يعكس أنوثتها، وفي سياق ذلك يقول عبد الله الغذامي "ويبقى حال المرأة مع الكتابة، حيث جاءت لتكون هي المؤلف، وهي الموضوع وهي الذات وهي الآخر، وإذا ما كتبت المرأة عن المرأة، فإنّ صوت الجنس النسوي هو الذي يتكلم، من حيث أن الكتابة ليست ذاتا تميل فرديتها، ولكنها تميل إلى جنسها، وإلى نوعها البشري، والذات هنا هي ذات أنثوية تحول نفسها إلى موضوع، وتحول حلمها إلى نص مكتوب، وتجعل كابوسها لغة" (Al-Ghathami 1996, 210).

إن رواية "كبرت ونسيت أن أنسى" للكاتبة بثينة العيسى تتحدث عن البطلة "فاطمة عبد الرحيم" التي تربت تحت وطاءة ما يُسمى بالصحوة الدينية في العالم العربي حيث الموسيقى حرام، والصور حرام، والبرامج الإذاعية فِسق، والشعر مصيبة والفنون معصية وابتعاد عن الذكر. تفقد فاطمة والديها في حادث وهي طفلة بعمْر ١٣ عاما ويتولى أخوها صقر، غير الشقيق، إدارة حياتها فتقول "إن اليتم ليس موت والديْها فقط بل اليتم هو عدم موته معهم ووجود صقر في حياتها ليكبح نموها ويضيق الخناق عليها باسم الدِّين ويمنع وجود ألعابها في البيت ويمنَع صوتَها ويحرق كتبها ويمنعها من كتابةِ الشعر ويشطب حتى القنوات التلفزيونية التي لا تروق له".(Al-Eissa 2013, 122) وهو ما نقرأه في قول البطلة "أقام محرقة في الحوش، أحرق ماركيز ودوستوفيسكي ونجيب محفوظ، المتنبي والمعري، محمود درويش ومظفر النواب، حكم عليهم بالموت حرقا بتهمة الهرطقة.(Al-Eissa 2013, 169)

إن مفهوم الأنوثة في الرواية تشير إلى أن الأسرة العربية تتشكل حاجيا مستمرا للمرأة من الحياة العامة بما تعطي للأخ من حق في التحكم بمصير الفتاة ودراستها وزواجها ومنعها من خروج البيت وقد أدى هذا من التسلط الاجتماعي إلى تخلف المرأة العربية ثقافيا.

نبذة عن المؤلفة:

بثينة وائل العيسى كاتبة وروائية، ولدت في الكويت، في الثالث من أيلول (سبتمبر) في عام ١٩٨٢. تلقت تعليمها الابتدائي والثانوي في الكويت حيث أتمت تعليمها المدرسي ومن ثم انتقلت الى المرحلة الجامعية. نالت درجة البكالوريوس من كلية العلوم الإدارية بالكويت وتخصصت بتمويل ومنشآت مالية من جامعة الكويت حيث حصلت على شهادة الماجستير من كلية العلوم الإدارية بجامعة الكويت في تخصص إدارة الأعمال في عام ٢٠١١ (Al-Ramīḍī 2015, 34).

تطرقت باب كتاباتها بكتابة المذكرات والخواطر والنصوص الأدبية في سن مبكرة وهي طالبة على مقاعد الدراسة وكان عمرها ثمان أو تسع سنوات وفي الثانية عشر من عمرها ولجت إلى عالم الكتابة الإبداعية بكتابة الأدب القصصي على المواقع والمنتديات الإلكترونية حيث قدمت مجموعة من الأعمال الروائية والقصصية، (https://www.youtube.com/watch?v=G_Hv3hE_7lQ 9/10/2012) ثم توجهت إلى كتابة المقالة الصحفية وألقت الكثير من الدورات الأدبية

المتخصصة في الكتابة الإبداعية. ساهمت في التأليف والترجمة لقصص الأطفال بالإضافة إلى أنها ليست كاتبة فقط ولكنها كما تصف نفسها بائعة كتب. وقدمت العديد من ورش العمل في فنيات الكتابة عبر مؤسستها "تكوين" منصة الكتابة الإبداعية ومكتبة ودار النشر بالكويت.

إن الأشياء التي صقلت موهبة الكاتبة هي البيئة الجغرافية في "الكويت" وذلك أن فترة احتلال الكويت عام ١٩٩٠، كانت بالنسبة لها هي فترة الطفولة والبراءة، إلا أن هذه الحرب غيرت نظرتها للعالم تماما كما ذكرت بثينة "إنها تحولت من طفلة تعيش في عالم من السلام والحب والمثالية وحالة تُشبه أفلام الكارتون وتعشق الأرانب، إلى إنسان يُفكر ويُحلل ما يحدث حوله، منذ أن شاهدت الدبابات وآثار الحرب حولها في كل مكان. هذا ما تركته الحرب في نفسية بثينة، فقد جعلتها ترى العالم بنظرة أخرى،"
(https://www.youtube.com/watch?v=G_Hv3hE_7lQ ٥/١٠/٢٠١٤)وهذا ما جعلها تبدأ في الكتابة عن الأشياء التي تُخيفها ظنا منها أن هذا هو الحل للسيطرة والتحكم في مخاوفها. مما يدفع بالمبدع إلى تأطير كل هذا في الكتابة الإبداعية، و أن تداعيات الغزو أيضا أتاحت للروائية "بثينة العيسى" الالتقاء بمناخات ثقافية وجغرافية متنوعة أضافت لها الكثير من الإرث الإنساني في المحيط العربي الخليجي الآسيوي و تتيح لها فرصة الاختلاء بالذات و النظر إلى ما حوله، برغم من كل سلبياته بنوع من الحنين الإيجابي و الاشتياق إلى الأهل و الصحبة، و الشوق إلى الأمكنة التي لها مواقع الذكرى في النفس، يكزن مؤثرا في شحنات الفكر و كوامن الشجن.

شاركت بثينة الكثير من الفعاليات الثقافية والأمسيات الأدبية داخل دولة الكويت، وزارت عدة البلدان العربية والأجنبية للمشاركة في المؤتمرات والندوات. زارت منها إسرائيل، وفلسطين والعراق وخارجها. احتلت المكانة الرفيعة بين مصاف أقرانها من الأدباء العرب، تمتاز شخصيتها بحراكها الثقافي المميَّز وتعطر لها مطبوعاتها الثقافية الرصينة التي انتشرت بين قرّاء لغة الضاد.

بثينة العيسى ومسيرتها الأدبية:

بدأت بثينة العيسى رحلتها الأدبية وهي ما زالت على مقاعد الدراسة. نشرت العديد من المقالات التي تناقش القضايا الأدبية والاجتماعية، ومنذ ذلك الحين التزمت ببعض الزوايا الاسبوعية واليومية في الصحافة الكويتية والعربية. فكان لها نشاط أدبي ثقافي كبير خاصة في مجال المرأة وأدب الأطفال، صدرت لها الكثير من نصوصها الأدبية في الصحافة الثقافية العربية، و منذ عام ٢٠٠٠ كانت تشرف على تحرير صفحات الأطفال في عدد من الصحف والمجلات الأدبية محلية و دولية مثل: صحيفة العرب اليومية من لندن عام ٢٠١٥ و صحيفة الرأي اليومية عام ٢٠١٥ ومجلة البيان، عام ٢٠٢٠، و جريدة الشرق الأوسط الدولية عام ٢٠٢٠، نشرت الكثير من نصوصها في القضايا الأدبية والاجتماعية في الصحافة الثقافية العربية مثل: صحيفة الإيلاف صدرت من لندن، عام ٢٠٠١، وصحيفة "اليوم السابع" تصدر عن الشركة المصرية للصحافة عام ٢٠١٩، و صحيفة الرؤية من دبي عام ٢٠٢٠.

قامت بثينة العيسى بتأسيس مشروع ثقافي أدبي "تكوين" وهو مشروع متخصص في الكتابة الإبداعية، يُعتبر منصة لتحفيز الكتاب والأدباء على مواصلة مشاريعهم الأدبية، بالإضافة إلى تدعيم سُبل التواصل بينهم. في محاولة لدعم المواهب الحقيقية في عالم الكتابة الإبداعية. وهي مسئولة برنامج التدريب وبرنامج الترجمة والنشر في هذا المشروع (Al-Ramīḍī 2015, 34).

تمارس بثينة عضوية لجان عديدة واتحادات ومنظمات ومنتديات كثيرة وانخرطت في معظم الجمعيات الأدبية مع الأدباء من ذوي الشهرة العالمية الذين تشعبت اتجاهاتهم الإبداعية المتميزة، فكان وما زال الإضاءة الساطعة للدارسين في الجامعة والصحافة والثقافة في الكويت والخليج العربي. ومن تلك: عضو رابطة الأدباء الكويتية، وعضو جمعية الكتّاب الكويتيين. وعضو اتحاد كتاب الإنترنت العرب. وعضو مؤسسة في منتدى مدينة على هدب طفل.

تمكنت بثينة العيسى من الحصول على عديد من الشهادات التقديرية والأوسمة لمشاركتها في كثير من المسابقات الأدبية حيث نالت عدة جوائز مهمة لمجهوداتها وكتابتها ومنها: حائزة بالمركز الأول في مسابقة هيئة الشباب والرياضة لعام ٢٠٠٣ في باب القصة القصيرة، وحائزة بالمركز الثالث في مسابقة الشيخة باسمة الصباح الأولى في باب القصة القصيرة، وحائزة بالمركز

الثالث في مسابقة مجلة الصدى الإماراتية للمبدعين ٢٠٠٥ في باب القصة القصيرة، وحائزة بالمركز الثالث لعام ٢٠٠٦ في مسابقة مجلة الصدى للمبدعين وجائزة الدولة التشجيعية في باب الرواية لعام ٢٠٠٦م عن روايتها "سعار"، وجائزة الدولة التشجيعية في باب الرواية لعام ٢٠١٤م عن روايتها "كبرت ونسيت أن أنسى،" وجائزة الرواية من قبل المكتب الثقافي والإعلامي في باب الرواية لإبداعات المرأة الخليجية عن روايتها "حارس سطح العالم" لعام ٢٠٢١ بالشارقة (Al-Ramīḍī 2015, 34).

بثينة العيسى وإنجازاتها الإبداعية:

تطرق بثينة الكاتبة مجالا حيويا وجديدا، وتستكشف أشكالا فنية جديدة. هي تحب فن الكتابة لأنها وجدت في الكتابة وسيلة هامة للتعبير عن رأيها. فصدر أول عمل روائي لها بعنوان "ارتطامٌ.. لم يسمع له دوي" عام ٢٠٠٤، بالإضافة إلى العديد من المؤلفات منها: "رواية سعار " عام ٢٠٠٥، و "رواية عروس المطر" ٢٠٠٦، و "رواية تحت أقدام الأمهات" عام ٢٠٠٩، و"رواية عائشة تنزل إلى العالم السفلي" عام ٢٠١٢ و"رواية كبرتُ ونسيتُ أن أنسى" عام ٢٠١٣" ورواية خرائط التيه عام ٢٠١٥، التي منعت من التداول في الكويت، و"رواية كل لأشياء" ٢٠١٦، و"رواية حارس سطح العالم" ٢٠١٩. ولها أربع مجموعات قصة أطفال: "قيس وليلى والذئب" (٢٠١١)، و"أسفل الشجرة على التيه" ٢٠١٦" و"مدينة بنصف قلب" و"ماذا نفعل عندما نشتاق؟" بالإضافة إلى كتابين بعنوان: "الحقيقة والكتابة" (٢٠١٨)، و"بين صوتين: فنّيات كتابة الحوار الروائي" (٢٠١٤) ومجموعة المقالات بعنوان "حاء" ٢٠١٦.

تمارس بثينة في معظم رواياتها دور كاتبة تكتب عما يلامس الأنثى ويؤلمها في أي مجتمع ذكوري، ودائما ما تحدث رواياتها عن هواجس أنثوية، حيث تؤكد بنفسها بأن ما تكتبه غير مسلّ. وذلك بما أن "الرواية السردية الأنثوية في عمومها رؤية ترفع اعتراضا جوهريا معلنا أو مضمرا ضدا الرؤية الذكورية التي صاغت الوعي الاجتماعي العام صوغا أحاديا، فمعظم مؤلفات بثينة العيسى تتناول قضايا المرأة، تصور فيها حرمان المرأة ومعاناتها ولجام لسانها من التعبير عن ذاتها، وهذه الصورة جاءت موافقة لما يتخيله الغرب عن المرأة العربية وما تعانيه من جهل وتخلف وكبت وقهر، بالإضافة إلى امتلاء رواياتها بالمشاهد الجنسية الصريحة، كما تشير إلى

هذه النقطة السوداء الباحثة كاثرين زوييف في كتابها بعنوان "بنات متميزات: الحياة السرية للشابات اللاتي غيرن العالم العربي". (Bub 2018, 127)

سمحت من خلاله للمرأة العربية بالحديث عن الغموض الذي يلف التصورات والفرضيات الغربية حول الأنوثة في العالم العربي. حيث يفاوضن النسوة التفسيرات المعاصرة للمعايير الجنسية في علاقتها بالقيم المتجذرة في المجتمع العربي. وهذه الجرأة في الكتابة لم يعتد عليها المتلقي العرب لا سيما أن كاتب هذه النصوص أنثى، لذا فقد نشرت أعمالها الروائية في معظم البلدان العربية الأخرى.

القضايا الاجتماعية في روايات بثينة العيسى

لا شك في أن كل مجتمع صغيرا كان أو كبيرا يعاني مشاكل عديدة تؤثر فيه وتحيط به من كل جانب أو فيه أوضاع يعدها الجمهور كمشكلة ويجدها ضد القيم العامة المقبولة من قبل المجتمع ويعترف بأنها مصدر قلق صحيح. عكست بثينة العيسى بصفة روائية جريئة صورة أضاع المجتمع من جهات شتى، فتكتب عن المرأة والتي تسلط الضوء حبرها على كل ما تراه معوجا في المجتمع الكويتي بشكل خاص، والمجتمع الخليجي والعربي بشكل عام، تبدأ بهموم المرأة الفردية فتكشف وتعري لإلقاء الضوء على زوايا المظلمة في هذه المجتمعات، وتخوض في قضايا التابوهات المحرمة "الدين والجنس والسياسة". وقد عالجت الكاتبة في رواية "كبرت ونسيت أن أنسى" من الأحداث التي تدور حول بطلها فاطمة الأنثى قبال ثلاثة ذكور صقر شقيقها الأكبر، وفارس زوجها، وعصام: عشيقها. وإنما لكل من الذكور الثلاثة دوره الخاص في استعراض الهيمنة عليها. ولصقر صورة سجان جلّاد لا يخرج من فمه إلا الشتم واللعن ولا يصدر منه إلا العنف ولفارس صورة خارج نطاق الضرب والسبّ والإيذاء ولكن هي لا ترى فرقا بينه وبين الذي تعرضت له في سرداب صقر سوى إنه جلّاد بحنان وسجان برقة ومحبة وأما "عصام" هو الذكر البهيج بالنسبة لها وواهب المحار والشعر" كما تصفها في لغة الرواية: "صباح الخير أيها الشاعر النهر، صباح الخير يا خليج، يا بهيج يا واهب المحار والشعر (Al-Eissa 2013, 122).

وهو الذي خاطرت كثيرا من أجله حيث أرادها لكي تملأ الفراغات الكثيرة له. ولقد طرحت الكاتبة من خلال شخصيتها المحورية فاطمة، حالات نفسية تكشف عن معاناة الأنثى في

حين تعيش في عالم تذبح المرأة إذا تكلمت أو فكرت أو كتبت فيكون الهروب إذن الطريق الوحيدة للحصول على حريتها.

لقد بدأت رحلة فاطمة منذ أن أرغمها أخوها على الزواج من ذلك اللا شكل الذي يقال له "زوج" لها، واختارت أن تغادر البيت برمتها لتعبر عن رفضها وهروبها من هذا الانفصام الاستبدادي والهيمنة القمعية والذي يتضح في قولها: "أعجبني وأخافني، بدا حقيقيا أكثر من قدرتي على التصديق. هل تزوجت هذا الرجل حقا؟ ترى من يكون؟ بعد لحظات لم يكن في رأسي إلا فكرة واحدة! ينبغي أن أهرب من هنا(Al-Eissa 2013, 42) ."، فتأخذ فاطمة أول قرار حاسم للمقاومة ضد كل رجل يمكن أن يوحي إليها على أساس ما هو "متعارف"، بأنه زوجها وبأنه سيمتلكها، كما تقول في لغة الرواية: "أريد لفارس أن يفهم بأنه لم يعد في وسعي أن أبقى لحظة واحدة في ذلك العالم، عالم التوابيت والسراديب، عالم الأحذية التي تدوس على وجهي، أريد الخلاص من كل ارتباط ممكن بالشكل المتعارف عليه العيش" (Al-Eissa,2013,20)

وبما أن السرود النسوية تقوم بتمثيل تجارب نسوية لا تعرف الولاء وفيها من الخروج على الأعراف أكثر ما فيها من الامتثال لها فتحرك في مناطق "شبه" محرمة وتحدث قلقا في الانسجام المجتمعي لأنها تريد أن تقطع صلتها بالموروث حينما تشك في كفاءاته وجدواه وهي بمجموعها تختلف عن الكتابة الباعثة على الارتياح التي تستجيب لتوقعات المتلقي وتشبع رغباته وتتوافق مع الأعراف السائدة. .(Ibrāhīm 2011, 7)

الأنوثة كما تعكس في رواية " كبرت ونسيت أن أنسى"

تمثل كتابة بثينة العيسى كتابة نسائية متمردة، فقد استطاعت كسر القالب النموذجي المثالي لصورة المرأة. فمعظم رواياتها تصور حرمان المرأة ومعاناتها ولجام لسانها من التعبير عن ذاتها، وهذه الصورة جاءت موافقة لما يتخيله الغرب عن المرأة العربية وما تعانيه من جهل وتخلف وكبت وقهر، بالإضافة إلى امتلاء رواياتها بالمشاهد الجنسية الصريحة، ودعت من خلالها إلى تحرير المرأة، والمساواة لكي تحقق المرأة لنفسها تقدما واضحا في المجتمع. ولقد أدت بثينة دورا بارزا في مجال حقوق المرأة والدفاع عنها إذ تقول: إن كتاباتي تتمحور حول الحياة والإنسان، والمجتمع، والمرأة بالتحديد كون المرأة عالما قديما وحديثا و قضية المرأة عندي

قضية مستحقة، حقوقيا مستحقة، مطلوب مني كموقف حقوقي أن أقف مع قضايا المرأة أو المساواة هذا أمر، لكن أن يكون مطلوب مني ككاتبة أن أخصص مشروعي للكتابة عن هذه القضية فلا، هناك قضايا كثيرة تثيرني وتهمني، وهذا لا ينفي هذا ولا يتعارض معه وأنا مع تمكين المرأة Women's Empowerment لكن لن أكتب بالضرورة ما يريده الآخر مني، وأنا كتبت عن المرأة كثيرا من "كبرت ونسيت أن أنسى" لكن ليس لأنني مدفوعة بهاجس، أنا امرأة وأكتب عن المرأة كشأن أو هم خاص ثم أمنح القارئ أن ينظر إلى القضية بالطريقة التي عالجتها بها" فاستعانت الكاتبة بشخصيات حقيقية من الواقع وجعلت بطلات رواياتها، كما أنها وظفت الجنس لتوضيح ملامح هذه الصورة، كما تقدم في رواية "كبرت ونسبت أن أنسى" البطلة تدعى فاطمة، صبية عايشت بزوغ الحركات الدينية التي كفّرت كل شيء، من موسيقى وشعر ورسم تعنفا باسم الدين والتقاليد التي تقمع المرأة في مجتمع ذكوري تُدافع فيها عن حقوق المرأة التي ضاعت بسبب العادات والتقاليد وأحيانا لفتاوى الدينية المغلوطة.(Al-Eissa 2013, 20)

اتضحت الروائية الأسئلة النسوية بشكل كبير في رواية "كبرت ونسيت أن أنسى" فهذه تتناول فكرة الثورية المتمردة العميقة في رسم صور قهر النساء المتعددة. ولكن العيسى عبرت عن نوع من القهر موجه للمرأة في الثقافة الأبوية الخليجية مشابه لما طرحته أسلافها من المبدعات.

تبدأ معاناة بطلة الرواية عند موت والديها بحادث مروري فيكون هذا الحدث المفاجئ هو الحدث المفصلي في حياة الساردة الذي يغير خريطة مستقبلها بشكل كبير، إذ أنها تنتقل إلى وصاية أخيها صقر المتشدد دينيا، فمنذ دخولها للمنزل تصدم بواقعها الجديد، تتحول إلى السرداب فتصبح كائنا ثانويا وهامشيا في حياة الأسرة الجديدة، يقطن السرداب. للسرداب هنا دلالة مهمة وهي وفق تأويلي الخاص أنها تبدأ بكتابة حفريات القهر الأنثوي، مثلما هي حفريات فوكو التي تغوص في الحقب الزمنية المتعددة، بحثا عن تحول المفاهيم، تصور الساردة معاناتها منذ البداية، بداية الألم ونهايته عبر تجربة طويلة من التفاصيل المؤلمة، وهنا نعود للسرداب مرة أخرى لنراه الجزء الخفي من المنزل، وهو الجزء الخفي من شخصية أخيها صقر، محاولة تعريته من خلال ما عايشته من تفاصيل قاسية جدا معه.

المرأة تشعر بأن أنوثتها يعتبر الرمز الحقيقي لدونيتها، ويجعل منها مخلوق من الدرجة الثانية، هكذا يودي هذا التمييز بين الذكر والأنثى إلى كره المرأة لذاتها، مثلما فاطمة سعيدة بأنها عاقر، ولا تتمكن من إنجاب البنين ويستحيل لها أن تخيل ما سيحدث لو أنها أنجبت الأنثى ويتضح ذلك في قولها" أنثى أخرى، كائن وظيفي لتبرير الانتهاك، كائن تحت الجرح والتعديل، مفعول به منصوب، مصلوب، قربان لاستقطاب العنف البشري لتفريغ شهوة الدم." (Al-Eissa 2013,199)

فهذا دليل على الخلل الذي يتخبط فيه في مجمله طائفي عنصري بمعنى أنه يحدث عن مطلق الأنثى وينسقها في علاقة مقارنة مع مطلق الرجل، إنه النسق الثقافي الذي يعتمد أساسا على هيمنة الذكر ولا على تفاعل حقيقي بين الذكر والأنثى.

لقد عبرت بثينة عن هوية مغايرة مختلفة ورغبات تتصارع مع رغبات الأخ بوصفه حارسا للعادات والتقاليد. بلغة شاعرية تحلل البطلة لغة ومواقف الأخ العنيفة ضد الساردة، وبالتناوب تحلل أثر الكلمات الجارحة على شخصيتها، فالخطاب اللغوي عندها هنا خطاب المشاعر والأحاسيس والأثر النفسي للعنف اللغوي والمادي: "لم يكن مسموح لي أن أكون أنا وكانت مواعظ صقر تصب في مشروع تفتيتي، وفي طمس اختلافاتي التي تزعجه". (Al-Eissa 2013, 57)

معاناة الكاتبة مع صقر متعددة الجوانب وكثيفة الطبقات فلا تستطيع أن تقرأ ما تريد من كتب ثقافية، ولا تستطيع إعلان أنها تكتب الشعر، محاولة منها للتعبير عن ذاتها والرد على غياب فرض عليها منذ سنين.

وهنا الساردة بهذا البعد تكشف عن المناطق المسكوت عنها للإبداع الأنثوي، ولدهور من الصمت والغضب، طال بها، وقد تحدثت عنه فرجينا وولف في "الغرفة"، واصفة إياه "بالصمت غير الطبيعي" الناجم عن ولادة المرء في طبقة أو عرق أو جنس غير ملائم، أو الحرمان من التعليم، أو فقدانه الإحساس في ظروف اجتماعية شاذة، أو كتمان الصوت بسبب الرقابة، أو الإعاقة بسبب متطلبات التربية والسكوت بسبب الضغط والإرهاب السياسي." (Al-Ẓāhir 2001, 8)

الثقافة الأبوية في رواية" كبرت ونسيت أن أنسى"

الثقافة الأبوية تعني ثقافة تختص بالرجال فقط، يتميز بسيادة الأب أو الذكر الأكبر في العشيرة أو الأسرة، والتبعية القانونية للبنات والأبناء. وترتكز في الغالب على العادات والتقاليد. ويكون للرجال فيه السلطة على النساء. هي الثقافة التي تسند فيها المسؤوليات الأساسية للأب لتحقيق رعاية ورفاهية الأسرة. ولهذا لا يمكن للمرأة أن تستعيد حقوقها من غير أن تجفف المنابع والمصادر التي تغذي ثقافة المجتمع بهذه الصبغة. مثلا: صقر رمز الثقافة الأبوية الدينية المتشددة يمارس سلطته على البطلة يحاول بوصفه المؤسسة العقابية والرقابية المسؤولة عن حماية الأسرة أن يقوم اعوجاج الشخصية التي تحلم بأحلام بسيطة أن تعيش حياة خالية من التعقيدات: تشاهد التلفاز وتقرأ كتب الأدب، والشعر، وتذهب للسينما وغيرها من التفاصيل العادية التي أصبحت مستحيلة عليها. إذ تقول: "يفتش حقائبي بحجة البحث عن علكة، يتفحص هاتفي بحجة البحث عن رقم هارديز، وليراجع تاريخ تصفحي في الكمبيوتر ليتحقق من أنني لا أحيد عن صراط الفضيلة ولا أتحاور مع رجال في الفضاء السيبيري، وهو يقوم على حراسة شرفي كالكلب تماما باستثناء أن الكلب أكثر محبة" (Al-Eissa 2013, 83)

حينما تمس المرأة الشتائم الجنسية، إلا أن نجد أنها لا تتحفظ صيانتها عن التلفظ بها، وكثير من النساء يشعرن في هذه الشتائم إهانة لهن ولخصوصيتهن، واستباحة لأجسادهن، وكأنها صارت مشاعا للمساس بها، ويرين الشتيمة الجنسية لأجسامهن ضربا من الاعتداء النفسي على خصوصية هذه الصفة الأنثوية.، وعندما تعاني المرأة من أي نوع من العنف ينظر الرجل كأنه شيء مسموح لهم ،فجميع ذلك من أشكال العنف التي تجربه الأنثى لا ينبغي إلا السيطرة،(Bagūrah 2008, 5) وكما نلاحظ في الرواية بين أيدينا، إذ شعرت نفس التجربة بطلة الرواية في دائرة عالم السجون و القيود وكل كلمات قاسية مسيئة تخرج من فم صقر، تشتت البطلة نفسيا وفكريا. تتبين الكاتبة على لسان البطلة "إنني أتحول إلى امرأة والأمر ليس مفرحا كما طننت. إنه ليس بالأمر الجيد أن يكون الإنسان امرأة في هذا المكان وعلى الأقل، ربما كان ينبغي أن تنجبيني" (Al-Eissa 2013, 57)

إنما البطلة لم تنظر إلى دنياها وإلا هو زنزانة أخيها الجائر وكذلك تشعر في حنان زوجها "فارس" هيمنة خفية، إذ هي تفكر أن كلاهما حاولا السيطرة على حياته بطريقة عنيفة وأخرى خفيفة، فهي تكلم زوجها " إن كل ما أقوله يبدو كالطلاسم بالنسبة لك..... جربيني..... طيب! إذا وضعت الأثاث الجميل وورق الجدران وهداياك الصغيرة جانيا، فأنت في الحقيقة لا تختلف عن صقر" وكذلك نراها في موجهة القول إليه "قبل سنوات وبخني صقر لأنني أردت أن ألمس البحر ولا أن أتعمد في مائه، للسبب ذاته، باستثناء أنك لا تتكئ على عكاز المقدس، بل تقرر فحسب، ولا شيء تغير، اختفت اللحية فقط" (Al-Eissa 2013, 89) وأكبر عنف تجربه الأنثى هو في وقت حينما تشعر ليست سوى كائن وظيفي كما يقوم صقر بمهمة تزويج أخته مع شخص لا تريده وهي تبتهل أن تكون غير مريئة، كما تقول فاطمة في لغة الرواية" شعرت بنظرات الرجل تثقب وجهي وتوجع روحي، كما لو كنت سيارة، نعل جديدة، أو ربما في هذه الحالة ناقة تصلح سباق الهجن" (Al-Eissa 2013)، ولكن يتم زواجها من فارس على رعاية أخيها الكبير " طوال مدة زواجي كان فارس يتذمر: الا نطفئ التلفاز هذا البيت أبدا". (Al-Eissa 2013, 51) ،وأن ما أكثر الأسباب التي تتعرض لها المرأة في مجتمعنا لتقتل نفسيا وتعيش عمرها في حال تجعل حياتها كالموت بل إن الموت قد يكون أرحم في كثير من الأحيان (Al-Sa'dāwī 1974, 54).

ومن الواضح أن العنف الرمزي تجربه البطلة لا يتحقق إلا من خلال فعل معرفة وجهل عملي يمارس من جانب الوعي والإرادة ويمنح السلطة الذكورية والذي يقضي قانونه الجوهري أن يعامل النساء كأشياء (Bourdieu 2009, 72) ولب مسألة المرأة وتخلفها هو بنية الثقافة تتصف بالقمع والقهر، التسلط والرضوخ بحرمان المرأة من وجود إنسانيتها وباعتبارها شيئا يصبح كل ما يتعلق بها مباحا من غبن واعتداء وتسلط واستغلال، كما هو الإنسان المقهور وإنسان من العالم الثالث.

وهذا ما تعالجه كل من رواية الكاتبة بثينة العيسى "كبرت ونسيت أن أنسى" موضحة أثر أشكال التسلط والقهر الاجتماعي في تخلف المرأة في الثقافة الأبوية السائدة والمجتمع الخليجي تحديدا، لأنه واقع تحت سلسلة محكمة من العادات والتقاليد الأبوية ما زالت قيد المراجعة البسيطة والتحولات الصغيرة. ففي الرواية فإن تلك المحظورات والقيود التي فرضها المجتمع

على المرأة بالذات على أنوثتها كان نتيجة للجهل الذي فرضه الظروف الاجتماعي منذ تأريخ بعيد وقد قال كينيث ووكر: إن جهل الرجل بالمرأة لا بعني جهله بجسم المرأة ورغباتها والوظائف والفيزيولوجيا للجنس فحسب، ولكنه يعني أيضا الجهل بما هو أهم وأخطر ذلك هو الفهم لإنساني للمرأة كإنسان مثله تماما هذا يعني أن الرجل لابد أن يعي ويفهم بأن المرأة كيان إنساني مثله، أنه روح تحس بما يحس" (Al-Sa'dāwī 1974, 58)

استنتاج البحث:

تناول الكاتبة بثينة صورة المرأة من زوايا متعددة. فتارةً مثلتها في الصورة النمطية التي ألقينا في البحث عن المرأة الكويتية البسيطة، تهتم الكاتبة في نتاجها السردي تعرض العديد من الصور التي تعبّر عن قضايا المرأة وهمومها، والمشكلات التي قد تعيق تقدمها عارضةً لبعض القضايا التي تناولتها تلك الروايات، في محاول لمقاربة بعض تمثيلاتها. تطرح الرواية كبرت "ونسيت أن أنسى" أسئلة الذات، حيث تفصح الكاتبة عن هوية الأنثى، فالأنثى بسبب الثقافة الذكورية وبسبب الوعي المستحدث بنوعها الجنسي تكتشف ذا كائنا هشا مهملة، فالرواية تحيط بكل من أعراف وتقاليد حاصرت الآن وإبداعها في جانب ضيق، لذلك كان تحدي الأنثى داخل المتن انتقاما من الذاكرة المشبعة بالذكورة، فمن خلالها دفعها تتخلى عن بعض قيمها ومبادئها، من خلال هذه النقطة نجد أن الكاتبة أرادت أن تفضح وتكشف الستار الذي يختفي ورائه الرجل. وتركز على الأبعاد الداخلية للشخصية، وهي الخاصية التي ميزت رواية "كبرت ونسيت أن أنسى "وذلك أن السمات النفسية والفكرية والاجتماعية هي من تسمح بإظهار الحالة التي تعاني منها المرأة في كنف المجتمع الأبوي.

References

Al-'Anazī, Sāmiyah. 2018. *Al-Huwiyah al-Anthawiyyah: Wijhah Nazr Nisawiyyah.* Algeria.

Al-Ghathami, 'Abdullah. 1996. *Al Mara' Wa al-Lugah*. Beirut & Casablanca: Al-Markaz al-Thaqāfī al-'Arabī.

Al-Eissa, Buthainah. 2013. *Kabirtu Wa Nasitu An Ansa*. Beirut: Al-Dār al-'Arabiyyah li al-'Ulūm Nāshirūn.

Al-Ramīḍī, Sa'd & Malik, Abrār. 2015. *Mu'jam Tarājim A'ḍā' Rābiṭah al-Udabā' al-Kuwaitiyyīn*. Kuwait: Dhat al-Salāsil Bookstore.

Bub, Rashil, "Banat Mutamaiyizat: Al Hayat al sirriya Lisshabbat Allaati Gayyarna Al Alamil Arabi" US, Mediterranean Quarterly ، Duke University Press-

Ibrāhīm, 'Abdullah. 2011. *Al-Sard al-Niswi: Al-Thaqāfah al-Abawiyyah Wa al-Huwiyyah al-Anthawiyyah Wa al-Jasad*. Oman: Al Muassasah al- 'Arabiyyah Li al-Dirāsāt Wa al-Nashr.

Al- Ẓāhir, Riḍā. 2001. *Gurfah Farjīna Wulf: Dirāsah Fī Kitābah al-Nisā* (Vol. 1). Beirut: Dār al-Madā.

Bagūrah, Al-Zawāwī. 2008. *Mafhūm al-Khiṭāb fī Falsafah Misheel Foko*. Cairo: Al-Majlis Al Aala Li al-Thaqāfah.

Al-Sa'dāwī, Nawwāl. 1974. *Al-Unsā Hiya al-Aṣl* (Vol. 1). Cairo: Maktabah Madbūlī.

Al-Sa'dāwī, Nawwāl. 1974. *Al-Mar'h Wa al-Jins* (Vol. 1). Cairo: Maktabah Madbūlī.

Bourdieu, Pierre (tr. Qa'farānī, Salmān). 2009. *Al-Haimanah al-Dhukūriyyah*. Beirut: Markaz Dirāsāt al-Waḥdah al-'Arabiyyah.

(https://www.youtube.com/watch?v=G_Hv3hE_7lQ ٩/١٠/٢٠١٢)

https://elaph.com/Web/Culture/2019/01/1234421.html

www.merriam-webster.com، Definition of Patrarchy

http://www.AlziadiQ8.com